يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما مُيِّز فاعل عن مفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجب من استفهام ، ولا صدر من مصدر ، ولا نعت من توكيد .» [١]

لكن المزيَّة لا يمكن أن تتحقَّق على المستوى الدلالي بمجرد رصد الحركة الإعرابية فحسب ؛ و« ذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم ، وليس مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية ، وإنما الذي تقع الحاجة إليه هو العلم بما يوجب الفاعلية للشيء ، إذا كان إيجابها عن طريق المجاز – مثلا – كقوله تعالى : ﴿ فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُم ﴾ ، وقول الفرزدق :

سَقَتْها خُروقٌ في المسامعِ

وأشباه ذلك مما يجعل الشيء فيه فاعلا على تأويل يدق ، ومن طريق تلطف ، وليس هذا علمًا بالإعراب ، ولكن بالوصف الموجب للإعراب .» [٢]

إن الجهد النَّحْوي على المستوى التقعيدي والمستوى التركيبي كان متاحًا بشكل آو بآخر أمام عبد القاهر الجرجاني ، فحاول في كتابيه (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) أن يكون منطلقه المستوى الثاني ، أي مستوى الأداء الجمالي في العبارة ، وليس مجرد رصد الصواب والخطأ « فإن قلت : أ فليس هو كلامًا قد اطرد على الصواب ، وسلم من العيب ؟ أ فما يكون في كثرة الصواب فضيلة ؟ قيل : أما والصواب كما ترى فلا ؛ لأنا لسنا في ذكر تقويم اللسان ، والتحرُّز عن اللحن وزيغ الإعراب ، فنعتد بمثل هذا

(١) ابن فارس : الصاحبي ، ص ٧٦ .
(٢) الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ .